

12 المحاولات

«حسناً، سأحاول ذلك»

محاولة شيءٍ ما لا تتعدى كونها مضيعة للوقت، فمن النادر أن يضمن أحدٌ ما كان قد حاول الكثير في حياته، كم أهدر من الوقت والجهد بمحاولاته من البداية. وقد يعرف الكثير هذا الشعور بأن كل شيء كان هباءً. لكن نادراً ما يعرف أحدٌ بأن ما أراد فعله في الحقيقة كان محكوماً عليه بالإخفاق، قبل أن يتحقق. ليس لأن ذلك خطأ بل، لأنه حاول ذلك؛ ولو بدت هذه المقولة متناقضة.

كم مرة حاولت أن تفعل شيئاً أو أن تدعه؟ وكم مرة حاولت أن تغيّر شيئاً، أو أن تتوصل إليه أو ببساطة القيام به، وعلى الرغم من مسعاك، أخفقت في محاولتك؟ وإذا حاولت ذلك فعلاً، فسيكون الجواب «غالباً» أو «على الأقل» أو «كثيراً» بيد أن الجواب عن السؤال، كيف حصل ذلك؟ فمن المحتمل أنه ما يزال إلى اليوم دون إجابة. حتى ولو كان لديك كثير من الأسباب التي تحمّلها سبب الفشل، سيكون الجواب: إذا

نعم، ولكن...

حاولت شيئاً، لا تدع لنفسك في الحقيقة خياراً آخر، غير الإخفاق.

فبدايات التحسن والتطور تظهر غالباً في إدراك أننا نبحث عن شيء ونجعل أنفسنا نحس بوعي، ماذا الذي نحب أن نجده؟ وحالما نكون مستعدين لمحاولة ذلك، فإننا نكون أخفقنا مسبقاً لأن كل محاولة لا تفترض الإخفاق فحسب، بل التنازل والإقلاع عن شيء أيضاً.

وكل شخص يحاول أن يتنازل من البداية عن نجاح غرضه. لأنه وباللاشعور يحسب الفشل، لأنه يعتقد باللاشعور على نحو أضمن، أنه من الأفضل الإخفاق قبل إتقان وتذليل المجهول من أن يحصل له ذلك في منتصف الطريق، أو حتى بعد هذا، حين يكون قد ذل كل شيء.

وعندما يبحث شخص ما عن شيء جديد، مثلاً: صعود جبل، فإن المحاولة تضمن في الواقع إثبات استعداده. حيث يعتقد الغالبية أنهم أرضوا أنفسهم وغيرهم بهذا.

لكن المحاولة تضمن الأمان الوهمي فقط لهذا الشخص. الأمان في أن يحط به الرحال من الآن فصاعداً، في إطار المعلوم. لأننا نحسب لأنفسنا مسبقاً ومع كل محاولة، وفي المقدمة، الإخفاق في إطار يمكن تحمله:

فالشخص الذي يحاول صعود الجبل، يمكنه أن يبدأ «بالركض» استعداداً لصعود الجبل، ويمضي بعيداً في ركضه

طالما ظل الإخفاق نزهة مريحة وهو عائد لأنه في عدم وجود الخبرة بالمجهود يتساوى تصور الإخفاق وراء حدود المعلوم أو حتى على قمة ما يراد التوصل إليه مع السقوط.

ليس لأننا يمكن أن نخفق في الخطر الحقيقي فوق الجبل. إذ، إن خطر الإخفاق لا يترتبص، كما نعتقد، أولاً هناك في العالي. هذا موجود مسبقاً في المحاولة (أو الفشل أو التنازل أو رفض) ما نبحت عنه. وطالما لا نجتاز المحاولة، فسنبقى في وسط الفشل. ولا يوجد سبب ذلك في ما نبحت عنه، وإنما في المقطع السابق⁽¹⁾ ver لأنه يتكرر بأكثر مما نتوقع، على شكل نفي للفعل الذي يسبق المقطع السابق ويبدل تماماً، دون أن نشعر به، فغلنا الأساسي المقصود، قبل تحقيقه، إلى العكس.

وعلى هذا المنوال يمكن معرفة ما يسببه تفسير واستخدام طائفة من الأفعال قابلة لوضع مقاطع سابقة قبلها مثل فعل يبحث، ويحاول، كما أسلفنا.

فحالما أباشر لمحاولة شيء ما، أضع في حساباني بالاشعور، أنه يمكن أن يغيب عني البحث عنه في مكان آخر.

(1) تحتل الملاحق (المقطع السابق واللاحق) موقعا هاما في الفعل في اللغة الألمانية، حيث يتبدل الفعل من معنى لآخر إذا أضيف إليه مقطع سابق مثل فعل يبحث suchen يتغير إلى يحاول بإضافة ver (على سبيل المثال) وهنا تريد الكاتبة أن تقول بأن المعنى الآخر للفعل قبل إضافة المقطع السابق.. موجود في الذهن تلقائيا (المترجم).

نعم، ولكن...

إذا أقول وأخطط شيئاً، مختلفاً تماماً عما اعتقدت في قوله. وأفشل في النهاية، لأنني منذ البداية وباللاشعور، أحجمت عن قصدي الأصلي، ومَنَعْتُ نفسي من النجاح بصورة غير مباشرة. وبهذا لا أجد فرصة، ما لا أقدمه، عما أبحث عنه وأضيع فرصة ما سأتوصل إليه، بما لا أقوم به.

إنَّ كل محاولة محكوم عليها بالفشل حتى قبل تحقيقها، لأنَّ التعبير اللفظي يدلُّ على أن الموضوع لا يدور حول الفعل المعني، وهو البحث، وبالتالي المضي في خطوات تطوره، بل في الواقع، تفاديه.

وحين تحاول فعل شيء تعوِّض باللاشعور كلمة الفعل المعنية لقصديك، أي العمل، بالفعل البديل، يحاول، وبهذا يحطُّ بك الرحال، تلقائياً في وسط عمل تعويضي، بمعنى عدم تحقيق غايتك المعنية. وإذا حاولت القفز أو حاولت أن تقول رأيك فإنك تحرف باللاشعور انتباهك وطاقتك لا إلى فعالية القفز أو لقول رأيك، وإنما إلى المحاولة كعمل وهمي، مما سيقودك حتماً، عاجلاً أم عاجلاً إلى نتيجة الإخفاق.

ولا يُعزى سبب الإخفاق إلى أنك تقوم بشيء آخر فحسب، حين اعتقدت أنك حسمت الأمر، بل لأنك في الدرجة الأولى، لم تحسم الأمر فعلاً بنفسك، وليست المحاولات سوى الدليل على أنه لم يتخذ قراراً حاسماً.

وكل من يحاول أو يريد المحاولة، يعتقد أنه حسم أمره

لشيء أو ضد شيء. غير أن كل محاولة فعلاً إشارة على أن قراراً محدداً لم يتخذ. ويحدث بدلاً من القرار، دائماً المحاولة.

إن من يحاول شيئاً يدعي فقط باللاشعور، أنه اتخذ قراراً. وهذه ميزة يخدع، من خلالها نفسه والآخرين، أنه بادر إلى شيء جديد. وأخيراً تبرهن محاولته أنه لم ينفِ الجديد. لكن، ليس قول لا يعني، قول نعم.



ولا بد أنك كنت أيضاً تعتقد في الماضي، أنك قلت نعم، حين حاولت شيئاً ما، بيد أن هذه «النعم» كانت تنطبق على المستقبل وليس على الحاضر وبدرجة أقل على النجاح وليس على المحاولة، إذاً كانت أقرب إلى «كلا» منها إلى «نعم» وإذا قلت الآن، يكفيني ما سمعته من هذا المقطع السابق الذي (يدلُّ على المعنى النقيض ضمناً) لأنك تحسُّ بالرغبة في أن تقول مرةً نعم لنفسك ولا استعدادك للعمل في الحاضر، فأرجو أن تكمل هذه الجملة (ربما للمرة الأخيرة):

36 - لقد قررت أن أحاول،

37 -

38 - أريد أن أحاول،

39 -

نعم، ولكن...

- 40 - أجرب منذ وقت طويل،
- 41 -
- 42 - أنا على استعداد لأن أحاول
- 43 -
- 44 - سأحاول
- 45 -
- 46 - أحاول دائماً
- 47 -

يمكن أن تستمر بهذه القائمة كما تحبُّ. وحين تنتهي منها، احذف من كلِّ جملة كلمة أحاول وشكل من نفس الفعل المعني للجملة، جملة بالزمن الحاضر. وستأكد من أنه عبر حذف الكلمة «أحاول» أصبح المستقبل حاضراً ومحاولتك قرارات .

مثلاً:

لقد قررت، أن أحاول أن أكون دقيقاً في مواعيدي، لقد قررت أن أكون دقيقاً في مواعيدي. أريد محاولة شطب كلمة «أحاول» من قاموسي، أشطب كلمة «أحاول» من قاموسي. أحاول منذ مدة أن أقول رأبي. سأقول رأبي من الآن فصاعداً - وهكذا دواليك.

بعد ذلك، ردد هذه الجملة، قديمها وحديثها، ببطء ووضوح. وأشعر، ماذا يجري من خلال ذلك؟ إن ما يبدو بعيد المنال في «المحاولة»، أصبح فجأة قريباً للغاية، بحيث يمكن للمرء أن يجربه في نفس اللحظة. وإذا ما تبين على هذا النحو، أنك أخذت على عاتقك ما هو غير واقعي أو معقول:

أحاول دائماً، إرضاء كل الناس
أرضي كل الناس دائماً،

فلا تستغرب بعد ذلك، لماذا لم تنجح في مسعاك ومن المستحسن أن تتوقف عن المحاولة هذه. ولا يتحقق ما ترغبه، إذا حاولت أخيراً مرّة، أو حتى مراراً أو بشكل مكثف. إن ما ترغب فيه وما هو قابل للتحقيق، تحقّقه، حالما توصلت إلى القرار بأن تعمل، منطلقاً من المحاولة.

وإذا كان هذا سريعاً بالنسبة لك أو أنه كثير شيئاً ما، فلا داعي لأن تخاف أو أن تضع نفسك تحت الضغط. إن كلّ ما تحتاج إلى عمله، هو ببساطة، توقف عن القول، بأن تريد أن «تحاول شيئاً»، أو «ستحاول شيئاً» أو «تحاول» التمهّل، حتى تكون قد توصلت إلى القرار الواعي لأن تعمل أو أن تدع شيئاً، وتكون مستعداً لأن تعمل حالاً طبقاً لقرارك.

وحين تحاول عمل شيء للمرة الخامسة وتفشل فيها كلّها، فعليك أن تتوقف كلياً بعد المرة السادسة. فإذا قررت أن تفعل شيئاً، وتقوم به خمس مرات، وتفشل في المرات الخمس، فستنطلق بعد المرّة السادسة، على أبعد تقدير، بشكل صحيح.